




أبو عبد اللّه الشامي ... رحلة الشهادة

للشَّيْخ

أبي يحيى الليبي
- رحمه اللَّه -



بسم الله الرحمن الرحيم

أبو عبد الله الشامي..

رحلة الشهادة

للشيخ/

أبي يحيى الليبي

(رحمه الله)

نشر:

مجموعة البُشْرَيات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

حقاً كما قيل (إن الشيء من معدنه لا يستغرب)، أوَ كان عجباً –إذاً– أن تنجب بلاد الشام رجلاً بل رجالاً، وتخرج بطلاً بل أبطالاً، حتى ولو كنا في زمن انتفاش الباطل، وعلو السوافل وتبجح الأراذل، أو ليست هي الأرض التي وشتها قلائد التضحيات، وحلتها نوادر البطولات، وسطرت في ربوعها أروع المواقف، وساحت على رباها أزكى الدماء، وتكسرت في ملاحمها قوى الباطل الزهوق حتى وقف هرقل وهو أسيف كسيف والحسرة تأكل قلبه والعجز يحوط جيشه ليقول (وداعاً يا دمشق، وداعاً لا لقاء بعده).

فما كان لموطنٍ كهذا أن يغور ماؤه وينقطع عطاؤه، ويتلاشى خيره، ويتبدد بره، مهما بعد الزمن وعظمت المحن، وتراكمت الفواجع، وتتابعت المواجع، فمراقد الأبطال الذين دوخوا حشود الصلبان، وكسروا جنود الطغيان لا زالت شاهدة على عطائها وسخائها، ولم تزل توقظ النائم، وتنشط المتكاسل، وتنبه الغافل، وتؤمل اليائس.

إنها الأرض التي يرقد فيها ذلك الضرغام، منقذ بيت المقدس من عبيد الصليب وجنودهم الطغام، الذي جاء على قدرٍ والأمة في تمزق شملها، وتشتت حالها، واستعلاء أعدائها، فشحذ سيفه، وكسر غمده، وصرخ في الأمة صرخة النذير العريان، يدعوها إلى الإيمان ويحضها على الجهاد ويردها إلى مسالك التضحية التي تهيأت للشرود منها، ويحذرها من مهالك الهوان، فارتفعت راية الحق، ونكست رايات الباطل، وزحزح الظلم، وتمكن الحزم، إنه صلاح الدين، الذي كان صلاحاً للدين:

ومن لم يزل يقظان في المجد والعلى ... وقد نعس الأقوام في المجد أو غطوا

همام لدى الهيجاء تعنو لبأسه ... أسود الشرى يوم الهياج إذا يسطو

خبير بكر الخيل في حوة الوغى ... إذا راع نكس القوم من صوتها عط

فحق لبلاد الشام أن تتبختر اليوم وتتباهى، بأن تصل حاضرها بماضيها، وتنقش في ذاكرتها اسم رجلٍ من رجال الأمة الذين حيوا بالدين وللدين، فما قيدتهم أرض –ولو كانت مباركة–، ولا كبلتهم دعة، ولا استهوتهم ملذات، ولا

خدعتهم زخارف الدنيا، فتركوا الديار، وودعوا الأهل، وفارقوا الأحبة، وهاجروا ليبذلوا زهرة أعمارهم في أرض الغربة، ليخرجوا دينهم من طوق الغربة، وشحنة الإيمان تدفعه واستعلاؤه يرفعه حينما يتردد في أعماق قلبه الطيب: {إِنْ كَانَ آَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [التوبة/٢٤]

فعلى طريق الشهادة والفداء، تقدم ثابت الخطى، قوي الجأش، صارم العزيمة، لينضم إلى قافلة أبناء الأمة البررة، وحماتها الشرفاء، وأسودها الغرباء، وأبطالها النجباء، من الذين نذروا أنفسهم لأن يقيموا بدمائهم وأشلائهم سداً رفيعاً وردماً منيعاً تتحطم عليه أساطير وأوهام عباد الصلبان من الأمريكان وأذنابهم ولا زال هذا السد يرتفع يوماً فيوماً فما اسطاع الكفرة أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ}[الصف/٤] ألا وهو الأخ الحبيب والرفيق اللبيب (أبو عبد الله الشامي) رحمه الله تعالى وأسكنه الفردوس الأعلى بمنه وكرمه.

فمن قدر الله تعالى أن أول لحظة أرى فيها أخي (أبا عبد الله الشامي) كان مكبل اليدين والرجلين في سجن بگرام، وهو وإخوانه يساقون إلى موطن الاغتسال، فوقفوا هنيهة ينتظرون، ولا يحجز بيني وبينه إلا شبك القفص الذي كنت بداخله، وكنا إذ ذاك ممنوعين من الكلام، فاختلسنا لحظة غفلة من جنود الصليب لأتعرف عليه، فانساقت إلي من طَرَفه كلمات خافتة لم تشفِ غليلي، إلا أن الشيء الذي لم يستطع الجنود البله أن يمنعوا منه أخي (أبا عبد الله) هو إرسال بسماته الحية من قسماته الوضيئة التي لا تكاد تنقطع حتى صارت كالسجية فيه، فعجباً لأسدٍ يبتسم وهو مكبل مصفد والأسوار تحيط به من كل جانب، ولكن فيمَ العجب إذا كانت القلوب عامرة بالإيمان تسرح في رياضه حيث شاءت لا يردها سور، ولا يمنعها حجاب ويتردد في أعماقها صدى لكلمات لا يدركها الصم البكم الذين لا يعقلون:

أخي أنت حر وراء السدود...أخي أنت حر بتلك القيود

إذا كنت بالله مستعصما....فماذا يضيرك كيد العبيد

ثم مضت الأيام بل والشهور في ذلك السجن المصمت حتى اجتمعنا مع عدد من الإخوة في غرفة واحدة، فكان ذلك اليوم لنا كالعيد، وما هي إلا بضعة أيام حتى نقلنا إلى سجن قندهار المقام في مطارها، فعزمنا على الفرار من هناك لأن السجن كان مفتوح الأرجاء وأسيجته عبارة عن أسلاك شائكة وهي لا تعني لمن عزم على الفرار شيئاً، ولكن شاء الله أن نعاد إلى سجن بغرام مرة أخرى قبل شروعنا في الفرار بـ(١٥) ساعة فقط.

ثم مضت الشهور ونحن جميعاً نتنقل من زنزانة إلى أخرى ومن قفص إلى قفص حتى كتب الله لنا النجاة وأنوف عباد الصليب مرغمة فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم، وما إن تجاوزنا سياج قاعدة بجرام بقليل حتى سمعت أبا عبد الله الشامي يعاهد الله على الاستمرار في الجهاد، وفيما نحسب أنه قد وفى بما عاهد الله عليه، فلعله كان ممن قال الله تعالى فيهم {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا} [الأحزاب/٢٣]

رحمك الله يا أبا عبد الله، خلقٌ رفيع، وابتسامة دائمة، وقلب صافٍ، وجناح مخفوض، وعقل راجح، ورأي بصير، وحرقة متقدة، وتأسف على أمة الإسلام، وشوق إلى الشهادة وحرص عليها ووجل دائم من فواتها، ومَن سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء ولو مات على فراشه، فكيف وقد نلتها وأنت مقبل غير مدبر، صابرٌ محتسب —كما نحسبك الله حسيبك— بعد رحلة البلاء والشدة، والعناء والمصابرة، وعند الصباح يحمد القوم السرى، فاسعد بصحبة الأخيار —إن شاء الله— ولا أسف على دنيا ذهبت لتحل محلها جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين.

وها هي كلماتك التي سطرتها وصيةً لإخوانك المجاهدين تنطق بالصدق، وتفصح عن خالص النصح، فسينتفع بها من يعرف قيمة (وصايا) الشهداء أما من كان قلبه غلفاً فليس لمثله تخط الكلمات.

الوصية

الحمد لله القوي القهار، مكور الليل والنهار، تبصرة وذكرى لذوي الأبصار، والصلاة والسلام على النبي المصطفى قائد المجاهدين الأبرار، وعلى آله والصحابة الطيبين الأخيار، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

قال الله تبارك وتعالى: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ}، وقال عز وجل: {أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ}، وأيضا قال: {وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ}، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لوددت أن أغزو في سبيل الله فأقتل ثم أغزو فأُقتل).

فيا إخوة الإيمان في كل مكان هل يُعقل أن يتمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو خير البشرية وهو الذي يوحى إليه من رب السماوات والأرض وما بينهما، وهو الذي يوحى إليه من عالم الغيب والشهادة، هل يعقل أن يتمنى الشهادة ثلاث مرات في سبيل الله عز وجل إلا لأنه يعلم عظم فضل الشهادة في سبيل الله عز وجل.

فالشهادة؛ وما أدراك ما الشهادة، فلو كان من خصال الشهيد فقط الإجارة من عذاب القبر لكفى بها منحة عظيمة من الله تعالى حتى يبذل الإنسان من أجلها الغالي والنفيس، فكيف وقد أعطى الله سبحانه وتعالى الشهيد ست خصال أو سبعا، ألا تستحق هذه الخصال العظيمة الجليلة أن نبذل أعمارنا وأرواحنا حتى ننالها؟، كيف لا والدنيا لا شك إلى زوال، كيف لا وما عند الله خير وأبقى، كيف لا والله غفور رحيم كريم.

فأين المشمرون لنيل الشهادة؟، وأين خطاب الحور الحسان الكواعب الأتراب، وأين طالبو القصور واللؤلؤ والزبرجد والمرجان، وأين المشتاقون إلى لقاء الله تعالى والنظر إلى وجهه الكريم.

ووصيتي إلى إخواني المجاهدين هي أني أوصيكم يا أحبتي في الله بتقوى الله تعالى وخشيته ومخافته وطاعته وإخلاص النية له والصدق معه، فهذه الأمور العظيمة قبل السلاح وقبل كل شيء، ولن ينفعنا السلاح ولا أي شي مادي إن لم نزرع هذه الأشياء العظيمة في قلوبنا.

فيا إخواني المجاهدين تذكروا قول النبي صلى الله عليه وسلم: (ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدا فسد الجسد كله ألا وهي القلب).

فبالله عليكم يا أيها الأحبة في الله ما فائدة الأسباب المادية وما فائدة السلاح أو السياسة أو المال أو الخبرة العسكرية وما فائدة العقل والذكاء وحسن التصرف إذا فسد القلب؟، فالله الله بإصلاح القلب وتجديد النية.

ولا أقول لكم اتركوا الأسباب –حاشا لله– ولكن أقول لكم أصلحوا قلوبكم كي ييسر الله لكم أسبابكم ويتقبل منكم ويبارك لكم في أعمالكم، ولا تفسدوا قلوبكم فتخسروا دنياكم وآخرتكم –عافانا الله وإياكم–.

وتذكروا قول الله تبارك وتعالى: {وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ} .

ووصيتي إلى أهلي الكرام الأعزاء الغاليين هي أني أقول لهم يا أبي العزيز ويا أمي الغالية وإخوتي وأخواتي وأهلي الكرام اعلموا أن الدنيا دار فناء وليست دار بقاء، فلا تتخذوها دار خلود فإن أنتم تمسكتم بها فإنها والله ستتخلى عنكم اليوم أو غدا، ولن تنتبهوا لأنفسكم إلا وأنتم في الدار الآخرة: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} ، فاعملوا خيرا تجدوه ولا تعملوا شرا فتلاقوه.

أهلي الكرام .. اعلموا وتذكروا أن الله عز وجل كتب لكل نفس أجلا مسمى يوم خلق السماوات والأرض، فإن أكرمني الله تبارك وتعالى بالشهادة في سبيله –نسأل الله ذلك– فلا يقع في أنفسكم أني لو لم أدخل ساحة الجهاد ولم أقتل أو ممكن أعيش في هذه الدنيا أكثر، فانتبهوا في هذا التفكير رعاكم الله وغفر لكم، لأن هذا التفكير يدل على ضعف الإيمان واليقين بأمر الله تعالى، نسأل الله عز وجل أن يعافينا وإياكم من هذا.

وتذكروا دائما قول الله تعالى: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} ، وتذكروا قوله عز وجل: {أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ} ، فنسأل الله عز وجل أن يجمعنا بكم في جنات الفردوس الأعلى في مقعد صدق عند مليك مقتدر مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

واعلموا أن الله سبحانه وتعالى بارك في دماء الشهداء بل أكرمهم واختار دماءهم من بين الدماء الكثيرة حتى يسقي بها شجرة الإسلام الحنيف.

فنسأل الله تعالى أن يجعل دمي من بين هذه الدماء المباركة، وأن يأخذ من دمي حتى يرضى ويغفر لي ذنبي ويرحمني ويتقبلني في عداد الشهداء، فإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه تمنى هذه الدرجة الرفيعة العالية فما بالي أنا لا أتمناها؟ اللهم ارزقني شهادة خالصة لوجهك الكريم مقبلا غير مدبر صابرا محتسبا واهد أبي وأمي وجميع أهي وقومي واغفر لهم وارحمهم ووفقهم لما تحب وترضى واجمعنا بهم في جنات الفردوس الأعلى إنك سميع عليم قريب مجيب الدعاء..اللهم آمين.

وفي النهاية أطلب من كل مسلم قرأ هذه الوصية أو رآها أو سمعها أن يدعو لي من قلبه لعل الله تعالى يغفر لي ذنوبي ويرحمني ويتقبلني شهيدا في سبيله.

والله أكبر ولله الحمد والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ولم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم ومحبكم في الله أبو عبد الله الشامي (هزبر)

ليلة الخميس ١٩ ربيع الأول ١٤٢٩هـ

**** إذا وجدتم أي شيء لي خاصا، من مال أو متاع أو سلاح، ولم يكن لي وارث هنا قريب يسهل إيصاله له ولا يحتاج إلى جهد أو وقت أو تكليف فهو لبيت المال وجزاكم الله خيرا.***

[مجلة طلائع خراسان – العدد الثالث عشر– لشهر محرم من عام ١٤٣٠هـ]